رحلة «ماجيلان» حول العالم

- أول رجل يطوف العالم فى رحلة بحرية !

حَاوَل كولومبس الوصول إلى بلاد الهند بالإبحار غرباً ، فوصل خطأ إلى أمريكا . لكن ماجيلان كان مصمماً على اجتياز نفس الرحلة بالإبحار غرباً، والوصول إلى بلاد الهند ، حيث كان يعتقد أن هناك ممراً مائياً سيمكنه من استكمال الرحلة من أمريكا إلى آسيا . ولد ماجيلان فى سنة ١٤٨٠ بالبرتغال، ورغم أنه كان ملاحاً بارعاً إلا أنه كان منبوذاً من ملك البرتغال ، ولذا فإنه طلب من ملك أسبانيا (تشارلز الخامس) تمويل رحلته إلى بلاد الهند .. وقدّم إليه الملك ما طلب . أما الصعوبة الأخرى التى واجهت ماجيلان فكانت توفير الملاحين اللازمين للقيام بالرحلة بعد ما رفض الملاحون الأسبان مشاركة ماجيلان فى رحلته لأنه برتغالى الجنسية . ولجأ ماجيلان للاستعانة بأى رجال يوافقون على السفر معه سواء كانوا ملاحين أو غير ملاحين ، وكان من بينهم بعض السجناء الذين سمح لهم بمغادرة السجن فى مقابل السفر فى تلك الرحلة المثيرة والغامضة !

فرديناند ماجيلان

- بداية ونهاية رحلة ماجيلان المثيرة :

فى سبتمبر ١٥١٩ انطلقت رحلة ماجيلان من جنوب أسبانيا وكانت تضم خمس سفن ، ومضت خلال المحيط الأطلنطى إلى السواحل الشرقية لأمريكا الجنوبية. وقد ظلت الرحلة طوال تلك المسافة الطويلة موفقة ناجحة . وتزودت السفن بالطعام الكافى من أمريكا الجنوبية ، ثم استكملت رحلتها فى الاتجاه إلى الطرف الجنوبى لأمريكا الجنوبية بحثاً عن ممر مائى (أو مضيق) يقود إلى آسيا ، ومضى البحّارة أثناء ذلك فترة عصيبة حيث استمروا فى الإبحار مدة طويلة ولم يجدوا أى

ممر، وفى نفس الوقت ساءت الأحوال الجوية بشدة ، حيث تحول المناخ إلى برد قارص ، كما نفد الغذاء من السفن ، وبذلك صار البحّارة يعانون من البرد القارص والجوع الشديد . وأخيراً ، وفى شهر أكتوبر من سنة ١٥٢٠ ، هداهم الله إلى الممر المائى المنشود ، وكان عبارة عن جزء مائى ضيق بالطرف الجنوبى لقارة أمريكا الجنوبية ، وسمى هذا الممر مضيق ماجيلان .. وهو نفس الاسم الحالى . وانطلقت السفن خلال هذا الممر إلى المحيط الهادئ ، واستمرت الرحلة فترة طويلة دون أن يهتدى البحارة إلى أى أرض ، وازداد جوعهم ولم يكن أمامهم ثم إلا التغذية على فئران السفن ، واضطر أحد قادة السفن وهى السفينة «سان أطونيو» أن يعود إلى أسبانيا بعدما شعر باليأس من الوصول إلى آسيا ، وأدرك أنه يمضى إلى المجهول . وفى شهر مارس من سنة ١٥٢١ وصلت باقى السفن إلى جزيرة «جوام» ثم غادرتها إلى جزر الفلبين ، ثم إلى جزر الملوك الإندونيسية [جزر التوابل] . لكن ماجيلان لم يستكمل مع باقى السفن رحلتها إلى تلك الجزر ، حيث قتل فى الفلبين بعدما أصابه سهم فى صدره أثناء الحرب الأهلية التى كانت دائرة هناك . وبذلك تبقى من السفن الخمس ثلاث سفن فقط ، حيث عادت سفينة إلى أسبانيا ، وتوقفت سفينة ماجيلان بعد مقتله . إحدى هذه السفن الثلاث توقفت عن الرحلة بعد أن دمرتها الرياح أما السفينتان الأخريان فاتجهتا إلى جزر الملوك وحملت بكميات كبيرة من التوابل استعدادا للعودة إلى أسبانيا . إحدى هاتين السفينتين أُسرت واعتقل بحارتها . وبذلك تبقى سفينة واحدة وهى السفينة «فيكتوريا» والتى عادت إلى أسبانيا بسلام . وبذلك تعتبر السفينة «فيكتوريا» هى أول سفينة دارت حول العالم !

مسار رحلة ماجيلان من أسبانيا حتى جنوب شرق آسيا ثم إلى أسبانيا

●● مشاهدات من رحلة ماجيلان :

* المغنّى العملاق !

عندما وصل ماجيلان وطاقمه إلى الأرض الواقعة بالطرف الجنوبى لقارة أمريكا الجنوبية [جنوب الأرجنتين الحالية] رأى رجلاً عملاقاً يحمل آلة موسيقية أشبه بالربابة.. وكان يغنى ويرقص طوال الوقت ، وبدا ماجيلان وطاقمه إلى جواره أقزاماً !

* لصوص أم أصدقاء ؟!

وعندما وصل ماجيلان وطاقمه إلى سواحل جوام اتجه نحوه سكان الجزيرة داخل قوارب ضيقة من جذوع الشجر وكانوا يحملون معهم جوز الهند والفاكهة للإتجار بها . واعتقد ماجيلان أنهم لصوص فأطلق طاقمه النار عليهم، ومات منهم عدد كبير !

- كيف كانت أحوال المعيشة على سُفن رحلة ماجيلان ؟

كانت الملاحة عموماً فى الماضى شيئاً قاسياً . وكانت رحلة ماجيلان مليئة بالمشقة والظروف الصعبة ، لأنها كانت رحلة طويلة جداً تعرض خلالها الملاحون لفترات قاسية . فكان الملاحون يقيمون باستمرار على ظهر السفن ، يعملون ويأكلون وينامون ، فلم يكن هناك حجرات مخصصة لهم . وكان عليهم أن يتحملوا قسوة الأحوال المناخية والبرودة الشديدة من خلال وجودهم على سفن مفتوحة . وكان من أسوأ ما تعرض له الملاحون نقص الغذاء بعد ما طال بهم السفر مما اضطرهم إلى تناول بقايا الأغذية الفاسدة ، والحشرات ، والفئران : وعندما طال بالملاحين السفر دون رؤية أى أرض أمامهم حدث تمرد للملاحين على قائدهم «ماجيلان» حيث حاول قائد السفينة فيكتوريا (وهى

السفينة الوحيدة التى خاضت الرحلة بأكملها بنجاح) وقائد السفينة كونسبسيون مهاجمة ماجيلان وقتله . وكان جزاؤهما الشنق . كما حاول بحّار آخر كان مبعوثاً من ملك أسبانيا التمرد على ما جيلان لكنه لم يشنق وإنما تركه ماجيلان فى إحدى الجزر .

- *الملاحون ومرض الأسقربوط* :

وأثناء الرحلات الطويلة عموماً كان بعض الملاحين يصابون بنزيف من لثتهم وأنوفهم ، وقد ظل حدوث هذا النزيف لغزاً محيراً لفترة طويلة .. فلم يعرف أحد سبب حدوثه ! هذا النزيف هو علامة مرض الأسقربوط [Scurvy] الناتج عن نقص فيتامين «ج» والذى يتوافر بالموالح والخضروات والفاكهة الطازجة عموماً.

فى بداية رحلة ماجيلان كانت السفن محملة ببعض الخضراوات والفواكه لكن تلك الكمية نفدت بسرعة لأنها تعرضت للتلف بسبب طوال مدة السفر . ولذا أصيب كثير من الملاحين بمرض الأسقربوط .. الذى أعياهم وأهلكهم بسبب تكرار النزيف ، وكانت هذه صعوبة أخرى من الصعوبات التى واجهتها رحلة ماجيلان . ولذا فإن قادة السفن اهتموا عند النزول إلى الجزر والأرض التى فى طريقهم بتزويد السفن بكميات من الخضراوات والفاكهة لمقاومة انتشار هذه المشكلة الصحية بين الملاحين .

كان انتشار مرض الأسقربوط بين الملاحين والذى يتسبب فى نزيف متكرر واعياء أحد الصعوبات التى واجهت رحلة ماجيلان .

مغامرات «هيرناندو»
فى بلاد المكسيك القديمة

●● الأزتك .. أقدم حضارات القارة الأمريكية !

اليوم تعيش المكسيك فى ظروف اقتصادية صعبة ، فى حين أن أرضها شهدت حضارة كبيرة عريقة أطلق عليها حضارة أو إمبراطورية الأزتك [Aztecs] والتى لم يكن يعرف أحد عنها شيئاً إلا بعدما زارها المستكشف المغامر الأسبانى «هيرناندو كورتس» فى النصف الثانى من القرن السادس عشر .

– مونتيزوما .. الإمبراطور صاحب الألف زوجة !!

زوجات مونتيزوما يقمن بإعداد الطعام للإمبراطور

كانت مدينة «تشتيتلان» هى عاصمة إمبراطورية الأزتك والتى كان يحكمها إمبراطور قوى يدعى «مونتيزوما» والذى ضم قصره ألف زوجة له كن جميعاً فى خدمته.. ويذكر أنه لم يطأ أرض قصره إلا نادراً ! وكان قصر مونتيزوما غاية فى الفخامة والثراء يمتلئ بالمفروشات البديعة ، والتحف الذهبية ، وموائد الطعام التى تضم مختلف الأغذية التى تفنن نساؤه فى إعدادها .

– أسواق قبائل المكسيك القديمة :

أما شوارع العاصمة فقد ضمت العديد من الأسواق الكبيرة التى كان يُباع بها الذرة ، والحبوب ، والمجوهرات ، والأسلحة ، والعباءات المصنوعة من الريش ، وكلاب صغيرة بدون شعر كان المكسيكيون يأكلونها ! وكان هناك أيضاً الطماطم والفلفل والأفوكادو والكاكاو التى كانت تستخدم فى صناعة الشيكولاتة، والتى كانت تعتبر غذاء قيماً ، ولذا كان يقتصر تقديمها على المناسبات الخاصة .

- المكسيكيون يهبون دماءهم لملك الشمس !

وكان لقبائل المكسيك القديمة رموز مقدسة . كان أعظمها عندهم الشمس. وكانوا يعتقدون أنه كان هناك خمسة شموس ، اختفى منها أربعة ، ولم يتبق إلا شمس واحدة . واعتقدوا أن الشمس الباقية تحيا بالدم ، ولذا كانوا يثقبون آذانهم بشوكة ليسيل الدم ، ويهبون قطرات الدم السائلة لرمز الشمس المقدس ! والأغرب من ذلك أن رجال الدين كانوا يهبون أجسام المساجين لرمز الشمس ، حيث يقطعون صدورهم ويستخرجون قلوبهم ويقدمونها فدية إلى رمز الشمس . وكانوا يعتقدون أن السجين الذى قتلوه سيحظى بمكانة رفيعة فى السماء إلى جوار رمز الشمس !

- هيرناندو يصل بسفينته إلى أرض المكسيك القديمة :

وعلى سواحل المكسيك وبالتحديد عند «فيراكروز» وصلت سفينة الشاب الأسبانى المغامر الجرىء «هيرناندو كورتس» ومعه عدة سفن أخرى تضم طاقماً من البحارة الأسبان ، وذلك فى فبراير سنة ١٥١٩ . لقد جاء كورتس من بلاده إلى تلك المنطقة البعيدة بحثاً عن الثروات والكنوز .

ومن الطريف أنه بعدما نزل من سفينته قام بإحراقها مع باقى السفن ليؤكد لرجاله أنه لا أمل فى العودة مرة أخرى ! وركب الرجال خيولهم حاملين بنادقهم ومضوا على أرض البلاد الجديدة حتى وصلوا إلى العاصمة تشتيتلان [وكان فى نفس العاصمة نيوميكسيكو الحالية] وعندما رآهم المكسيكيون دهشوا أشد دهشة لأنهم لم يروا من قبل خيولاً ، وتصوروها حيوانات متوحشة ، ولا بنادق كالتى حملها الأسبان ، وتصوروها أعوادا سميكة من الخشب ! ولذا فإنهم شعروا بخوف ورهبة من الغرباء ، واقتادوهم إلى رموزهم المقدسة !

هيرناندو كورتس

وأخيراً وصل كورتس وجيشه إلى العاصمة فى الثامن من نوفمبر ١٥١٩ ، فقابلهم الإمبراطور «مونتيزوما» مقابلة حسنة ، ومنحهم هدايا ، وسمح لهم بالبقاء فى المدينة . كما خصص لهم حجرات داخل قصره الكبير . ولكن مع مرور الوقت أدرك المكسيكيون سوء ما صنعوا بعدما كَشَف كورتس ورجاله عن نواياهم السيئة..

لقد قام كورتس وجيشه بمهاجمة النبلاء وقتلهم وسرقة كنوزهم ، مما أدى إلى إثارة غضب المكسيكيين ضدهم ، ومضوا لمحاربتهم ومحاولة طردهم من البلاد ، وحاول الإمبراطور مونتيزوما تهدئة المكسيكيين ، لكنهم ثاروا ضده ورجموه بالحجارة ومات سريعاً وشق كورتس ورجاله طريقهم خارج العاصمة فوق جثث القتلى ، ورحلوا عنها . وعندما عادوا مرة أخرى بمزيد من الرجال والعدة وجدوا المكسيكيين فى حالة ضعف وتفكك وجوع وانتشرت بينهم الأمراض ، وبعد حصار للمدينة دام أربعة أشهر استولى الأسبان على العاصمة ، ومن هنا بدأت نهاية إمبراطورية وحضارة الأزتك .

خريطة توضح الرقعة التى أقام عليها قبائل المكسيك القديمة [الأزتك] حضارتهم وهى نفس أراضى المكسيك الحالية

حكاية الأسبانى الغادر «بيزارو» مع إمبراطور «الإنكا» !

●● إمبراطورية الثراء والفخامة !

على مناطق مرتفعة فوق جبال الإنديز الممتدة بمحاذاة الساحل الغربى لأمريكا الجنوبية وبالتحديد عند دولة بيرو الحالية ، كان هناك حضارة وإمبراطورية قديمة عرفت باسم الإنكا [Incas] .. وهو اسم أصحاب تلك الحضارة وأيضاً الاسم الذى عرف به إمبراطورهم «إنكا» .. والذى كان إمبراطوراً مهيباً قدّسه الناس وتحكّم فى مختلف أنشطتهم .. فأمرهم متى يزرعون ومتى يحصدون .. ومتى يحاربون ومتى يستسلمون .. وكانت الإمبراطورية غاية فى الثراء . وفى عاصمتها «كوزكو» كان يوجد قصر الإمبراطور ومعبد الشمس المهيب الذى تغطى بشرائح من الذهب . فقد كان الناس هناك يعظمون الشمس ويعتبرون الذهب هو عرق الشمس !

وبنى الناس هناك جسوراً وطرقاً تصعد لأعلى الجبال.. وكان حاملو الرسائل التابعون للإمبراطور يطوفون بتلك الطرق والجسور ليبلغوا الناس بالأخبار والأوامر.. ولم تكن الكتابة معروفة عندهم ، ولذا فإنهم كانوا يحملون الرسائل داخل «رءوسهم» أى يعتمدون على ذاكرتهم .. وفى بعض الأحيان كانوا يحملون حبالاً معقودة ترمز عقدها لمعانٍ معينة «فيقرؤها» الناس !

شكل تصورى لرجال الإنكا

فرانشيسكو بيزاردو

- الأسبان قادمون !

وفى سنة ١٥٣٠ ، وصل الفاتح الأسبانى «فرانيشسكو بيزارو» إلى أرض الإنكا [بيرو] ومعه ١٨٠ محارباً و٣٧ حصاناً .. وشق الأسبان طريقهم نحو الجبال بحثاً عن الثروات والكنوز . ومضوا صاعدين الجبال الشاهقة فقابلهم أحد حاملى الرسائل وقادهم إلى الإمبراطور «أتاهولبا» إمبراطور الإنكا العظيم ، والذى وجدوه مسترخياً مع حاشيته بالقرب من عيون مائية حارة .

وعلى الرغم من عدم تكافؤ قوة الأسبان مع قوة الإنكا الذين فاقوهم فى العدد إلا أن الأسبان استطاعوا قتل رجال الإنكا واعتقلوا إمبرطورهم واتخذوه أسيراً .

- الصفقة الذهبية !

ورأى الإمبراطور أن الأسبان مغرمون بالذهب ، فعقد صفقة مع بيزارو تضمنت إطلاق سراحه مقابل منحه حجرة كاملة مملوءة بالذهب . وخرج الإمبراطور يخطب فى الناس طالباً منهم إحضار الذهب المطلوب ووضعه بالحجرة المعينة . وامتلأت الحجرة بالذهب واستعد الإمبراطور للإفراج عنه ، لكن بيزارو لم يفعل ، حيث استولى على الذهب وقتل الإمبراطور ! وصار الأسبان منذ ذلك الوقت هم حكام الإنكا [بيرو] .

خريطة توضيحية لمنطقة حضارة الإنكا والتى كانت تقع بمكان دولة بيرو الحالية